نظريات القيادة - نظرية القيادة الإستراتيجية
Strategic Leadership Theory

د. علاء الدين العظمة
دكتوراه في التخطيط الاستراتيجي
مستشار التخطيط والتنفيذ الاستراتيجي في شركة سيريتل موبايل تيليكوم
رئيس قسم إدارة الأعمال في جامعة أريس الأمريكية

إنّ القيادة هي عملية إعطاء غاية ووجهة ذات معنى للجهد الجماعي، للوصول إلى الغاية والهدف المنشود.

إنّ القادة (بنظر هذه النظرية) هم من يقومون بإيصال الرؤية والتوجّه للأتباع، حيث يوفقون بين الأتباع، ويحفّزون ويلهمون ويفعّلون الأتباع.

والمهمة الأكبر هي تحويل الأتباع والموظفين من أشخاص متعاقدين مع منظمة اقتصادية إلى أعضاء ملتزمين في منظمة هادفة.

إنّ أزمة الأعمال اليوم هي أزمة معنى، فالأتباع لديهم شعور الشك وعدم التأكد حول مستقبل منظمتهم، وحول وظيفتهم ومستقبلهم الشخصي، لذلك يجب على القادة ألا يستصغروا عمق الحاجة الإنسانية للمعنى، إنها أكثر الحاجات الإنسانية إلحاحاً، بل هي ميل فطري لا يزول.

ومن رواد هذه النظرية دروكر ١٩٩٩، وكوتر ١٩٩٩، وجاكوبس وجاك ١٩٩٠، وبوكينغ هام وكليفتون٢٠٠١.

يجب إضفاء صفة الإستراتيجية والتفكير طويل الأجل على القيادة، وكذلك إضفاء مفهوم التغيير وفهم قوى التغيير المحركة له وتأثير ذلك على الشركات من الداخل والخارج، وهنا يجب على الإداريين والقادة أن يحددوا الإجراءات التي يجب اتخاذها للاستعداد لما هو متوقع حدوثه في المستقبل أو ما يسمى بـ (business continuity & Recovery plan)

يجب أن يبدأ كل نشاط برؤية، وغاية، وأهداف، وتلك الأحلام ليس من المحتمل أن تتحقق بدون إستراتيجية فعّالة .

لابد من استخدام الإستراتيجية لوضع إطار عمل (آني، ومستقبل قريب، ومستقبل بعيد)، حيث تتطلب القيادة الإستراتيجية توليد الأفكار المستقبلية، والتفكير في التفاصيل الإدارية والأنشطة الوظيفية التي يجب تنسيقها من أجل تنفيذ الإستراتيجية بنجاح.

ويجب التأكد باستمرار على اتساع المشاركة من جميع المستويات الوظيفية (مدير قسم – مدير وحدة – مشرف – موظف درجة عالية – موظف عادي، وهكذا...).

ومن المبادئ المعروفة أنه كلما زادت معرفة التابع للمهمة زادت الفرصة للمبادرات وحسن التصرف، فالتابع الملم بنوع المهمة المدرك لأبعادها ونتائجها خير بألف مرة من ذلك الذي يساق إلى مهمة لا يعرف عنها شيئاً ، والقيادة الواعية هي التي تحرص على إمداد أتباعها بالمعلومات وإعلامهم بالموقف في حينه، فيتحركون تلقائياً وينطلقون نحو الهدف قبل أن تقودهم إليه.

إن التفكير بالقيادة بالنمط الاستراتيجي مهم جداً، ومن أهم الأمثلة هو حالة شركة كومباك وشركة ديل للحواسب (٢٠٠٠-٢٠١٠).

إن الشركات ذات التصنيع التقليدي بالجملة، مثل شركة كومباك، تصبح في مأزق كبير بسبب المخزون الذي لم يتم بيعه، حيث أن مكونات الكمبيوتر الالكترونية تكون معرضة للتقادم التكنولوجي (الاهتلاك المعنوي) مع مرور الوقت، وعندها يضطر هؤلاء المصنعون إلى التخلّص من المخزون الفائض، وبالتالي ستنخفض هوامش أرباحهم إلى أقصى مدى.

أما شركة ديل، فإنّها تجدد مخزونها أكثر من ثمانين مرة في العام، مقارنة بعشر أو عشرين مرة بالنسبة لمنافسيها، ولذا فهي تحصد قدراً هائلاً من الأموال النقدية. ففي الربع الأخير من العام ٢٠٠٢م وبإيرادات تقدّر بـ٨,١ بليون دولار، وهامش تشغيل يقدّر بـ٧,٤٪، حصلت ديل على أموال نقدية تقدّر بـ١ بليون دولار من العمليات، وعائد رأس مالها المستثمر في العام المالي ٢٠٠١ كان ٣٥٥٪، وهي نسبة لا تصدق، وهذا يثبت أنّ ممارسة القيادة بصورة إستراتيجية في شركة ديل أدى إلى زيادة أرباحها، ولكي يتحسّن الوضع في شركة كومباك ومثيلاتها في مجال الصناعة لابد من إتباع خطوات مشابهة لخطوات شركة ديل، كتحديد الأهداف بدقة، وتعميق الوعي بالبيئة العامة المحيطة وطبيعة الصناعة، وبالتالي وضع إستراتيجية لتنفيذ البيع عند الطلب دون تخزين طويل الأمد كجزء مهم من إستراتيجية المؤسسة.

ومن الأمثلة التاريخية الهامة في هذا الموضوع ما حدث خلال صلح الحديبية بين المسلمين وقريش، حين خرج الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأداء العمرة في يوم الاثنين هلال ذي القعدة من السنة السادسة الهجرية، وكانت قريش قد قالت لسهيل بن عمرو: "ائت محمداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدّث العرب عنّا أنّه دخلها علينا عنوة أبداً". فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح.

ثم بعد هذا تم الاتفاق على بقية الشروط وهي وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض، وأن بينهم عيبة مكفوفة، فلا إسلال (سرقة)، ولا إغلال (خيانة)، وأن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه. فتواثبت خزاعة فقالوا:"نحن مع عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده"، وتواثبت بنوبكر فقالوا:"نحن في عقد قريش وعهدهم".

لقد تبرّم كثير من الصحابة من معظم هذه الشروط، ومن الأدلة على ذلك أنّ علياً اعتذر عن محو كلمة ﴿رسول الله﴾ التي اعترض عليها سهيل بن عمرو، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:"أرني مكانها"، فأراه مكانها فمحاها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكتب على مكانها ﴿ابن عبد الله﴾. وغضبوا لشرط رد المسلمين الفارين من قريش إلى المسلمين. ويحكي عمر بن الخطاب مجيئه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم غاضباً عند كتابة ذلك الصلح، قائلاً: "فأتيت نبي الله، فقلت: ألست نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً ؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري. قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه العام؟ قال: قلت: لا. قال: فإنك آتيه ومطوف به". وأتى عمر أبا بكر وقال له مثل ما قال للرسول صلى الله عليه وسلم، فقال له أبو بكر: "إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق"، وقال عمر: "ما زلت أصوم وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيراً"، ولم تطب نفس عمر إلا عندما نزل القرآن مبشراً بالفتح.

وفي الحقيقة فإنّ تنازلات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كانت في صالح إستراتيجيته الكبرى والشاملة، حيث أتيح للمسلمين مضاعفة جهودهم لنشر الإسلام، وفي ذلك قال الزهري: "فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنّما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب، وآمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل إلا دخل فيه، ولقد دخل في تلك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك"، وعلّق ابن هشام على هذا قائلاً:

"والدليل على قول الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر، ثم خرج في عام الفتح بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف".

والخلاصة هنا أن ممارسة القيادة بمنظور استراتيجي هو أمر مختلف تماماً عن ممارستها بالأسلوب العملياتي، ولتحقيق الإنجاز الأفضل وتعزيز التنفيذ على نحو أمثل، فلابد من ممارسة القيادة بالصورة الإستراتيجية.

إن قدرة القائد على تحديد الأهداف وعمل الخطط لإنجازها هي المهارة الأساسية للقيادة .

نوعها: إقناعية، وديمقراطية، وشورية.

شكلها: جماعية.

المصادر والمراجع :

١. ستيفينوس، والاس / ووى، د.روبلى، كتاب كيف تخطط وتنفذ استراتيجية، سلسلة ماكجروهيل، مكتبة جرير، الطبعة الأولى ٢٠٠٩، الصفحة (٥).
٢. مرسي، سيد عبد الحميد، مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية، مطبعة رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، الصفحة رقم(١٦٩).
٣. تراسي، بريان، القيادة الفعّالة، مكتبة جرير، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣، الصفحة رقم (٤٠).